وأوضح هنا أن صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فالدفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيء والروح الهجومية والروح الدفاعية في الثورة شيء اخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : « هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد أشرت الى هذه القضية في كتابي نحـو ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط .

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي اثارها منير . انه يقول : « على كل حال يبدو لي ان العودة الى التأكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كـان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم عـلى مستوى البديهيـات والامـور البدائية » (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات ، لان ممثلي الاتجاه « اليساري الثوري الجذري » في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخـذوا يرددون بعد ايلول مـا طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيـادات العسكرية النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقـع كان من اكبر اخطائنا في ايلول . وكنا نحن ، انـا ومنير نسمع هذا الطرح بآذاننا ، ونناقشه مـع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما أخليـت عمـان والمـدن والمخيمـات ، وانتقل المقاتلـون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات . والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هـذه الاراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكـذا يـرى القارىء ان التركيـز على هـذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليهـا ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد ان يبرر الانسحاب من المدن وتصفية مكاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة. وكان أكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتاولكن «المنظرين»العسكريين وغير العسكريين برروا « عملية السحب » باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنـا التي أعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكر صادق « الماركسي » بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : « يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم! لقد عصفوا بالسماء » . ونذكره ايضا بالاهتمام الكبير الذي اولاه ماركس وانجلـز ولينين وكـل الماركسيين لكومونة باريس . وما زالوا يولونه . وكان في كومونة باريس حوالي اربعمائة الـف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العام ،وحين هاجمهم جيش تيير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم. وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الـذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تيير عددا، وصمدت في معركة طاحنة استمرت شهرا ٨/٢٨ — ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ما عدا المعارك السابقة . وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمـان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرىمعاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس اخطاء تجربتها وتثمن بطولاتهـا تركز الاضواء عـلى الاخطـاء تركيـزا « هستيريا » وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

أما كانـت بطولات جماهيرنـا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . انالشعوب لا تتعلم من اخطائهـا فحسب ، انها تتعلم مـن بطولاتها ايضا .

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها « العفوية » لا يرون الا اخطاءها ، لانهم